موقعة حران (البليخ)
عواملها وآثارها
٤٩٧هـ / ١١٠٤م

إعداد
د. عائشة بنت مرشود الحربي
أستاذ مساعد في التاريخ الوسيط
جامعة طيبة / كلية الآداب والعلوم الإنسانية
المملكة العربية السعودية / المدينة المنورة
١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

موقعة حران (البليخ)
عواملها وآثارها
٤٩٧هـ / ١١٠٤م

د. عائشة بنت مرشود الحربي
أستاذ مساعد في التاريخ الوسيط
جامعة طيبة / كلية الآداب والعلوم الإنسانية
المملكة العربية السعودية / المدينة المنورة
١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

مدخل

تمثل الحروب الصليبية حلقة من حلقات الصراع الطويل بين الشرق والغرب، إذ هي الوسيلة التي تحايل بها الغرب الأوربي للخروج من أنماط العصور الوسطى والانطلاق إلى حياة أوسع وأرحب. وهي في حقيقتها حركة صليبية استعمارية نشأت في غرب أوربا، واتخذت شكل هجوم مسلح على بلاد المسلمين وبخاصة في الشرق الأدنى الإسلامي، وجذور هذه الحركة نابع من الأوضاع الدينية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية والسياسية التي سرت في غرب أوروبا في القرن الحادي عشر الميلادي / السادس الهجري. واتخذت من الدين ستارا لتحقيق أهدافها[١].

---

(١) محمود عمران: تاريخ الحروب الصليبية، صـ ١٣ – ١٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقام البابا أوربان الثاني Urban II (٤٨١-٤٩٣هـ/ ١٠٨٨ - ١٠٩٩) بالدعوة لقيام هذه الحرب في فرنسا بمدينة كليرمونت عام ٤٨٩ هـ/١٠٩٥م[١]

وبعد هذه الدعوة تجمعت أعداد لا حصر لها تحت لواء الحرب تدفعها عدة عوامل. وفي عام ٤٨٩هـ ١٠٩٥م خرجت الحملة الصليبية الأولى على العالم الإسلامي[٢].

ومما يؤسف له نجاح هذه الحملة بل وتأسيس أربع إمارات صليبية على التوالي إمارة الرها[٣] تأسست عام ٤٩٢هـ / ١٠٩٥م ويحكمها الكونت بلدوين Baldwin، ثم إمارة انطاكية[٤] ويحكمها الكونت بوهيمند Bohemond ومملكة بيت المقدس ويحكمها الكونت جود فري Godfry[٥] .

---

(١) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ١، صـ ٩٧ - ٩٨.

(٢) عن تفاصيل الحملة الصليبية الأولى انظر وليم الصوري: مصدر سابق، جـ١، مجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس.

(٣) الرها: من ديار مصر وتقع على الجانب الشرقي الشمالي عن الفرات. أبو الفدا: تقويم البلدان، صـ٢٧٧، وعن تاريخها انظر عليه الجنزوري: إمارة الرها الصليبية.

(٤) انطاكية: قصبة السواحل ومن أنزه بلاد الشام وكانت إحدى كراسي الروم. انظر ابن حوقل: صورة الأرض، صـ ١٧٩. وعن إمارة أنطاكية انظر حسين عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، جوانفيل دواني: أنطاكية القديمة.

(٥) بيت المقدس: المدينة المشهورة التي كانت محل الأنبياء ومهبط الوحي. بناها داود عليه السلام وفرغ منها سليمان عليه السلام وهي مشيدة على قمة جبل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأخيرًا إمارة طرابلس[1] ويحكمها الكونت ريموند الصنجيلي Raymond وفي الحقيقة أن بلدوين الأول كونت الرها يعتبر المؤسس الحقيقي لمملكة بيت المقدس الصليبية إذ عهد إليه بالحكم بعد وفات جود فري ٤٩٤هـ/١١٠٠م[2].

ولنا أن نتساءل عن موقف الملك بلدوين الأول Baldwin I ٤٩٤ - ٥١٢هـ / ١١٠٠ - ١١١٨م. من الحركة الصليبية وما قدمه لهذه الحملات من إنجازات وصدى ذلك على الغرب الأوروبي.

للإجابة على هذا التساؤل نستطيع أن نقول أن بلدوين كان مدركًا لأهمية سيطرته على المدن الساحلية الشامية، وذلك حتى يكون قناة اتصال بين الغرب الأوربي ومملكة بيت المقدس، هذا إضافة أن مدن الساحل الشامي تتمتع بالموانئ والتي لها أهمية كبيرة في المجال الاقتصادي، لأن الساحل بمثابة نهاية خطوط التجارة من شرق ووسط آسيا إلى أوروبا[3].

=انظر القزويني: آثار البلاد، صـ ١٥٩ ؛ ناصر خرو: سفر نامه، صـ ٥٦. وعن بيت المقدس انظر فوشيه الشارتري: تاريخ الحملة إلى بيت المقدس.

(١) محمد العمروسي: تاريخ الحروب الصليبية، صـ٥٧. وعن تاريخ طرابلس بالتفصيل انظر عبد السلام تدمري: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري، سيد عبد العزيز: طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي.

(٢) فوشيه الشارتري: مصدر سابق، صـ ١٧٣.

(٣) هنادي السيد: مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، صـ ٤٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقـد نجح بلدوين الأول في السيطرة على أرسوف[١] وقيسارية[٢] ٤٩٥هـ / ١١٠١م[٣].

كمـا تمكن من السيطـرة علـى عكـا[٤] سنـة ٤٩٧هـ ١١٠٣م[٥]، ثم تمكـن من ضـم طرابلس سنة ٥٠٣هـ/١١٠٩م[٦]. والسيطرة على بيروت[٧] ٥٠٤هـ/ ١١١٠م[٨]، ومـن ثـم سيطـر

---

(١) أرسوف: مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا. الحموي: معجـم البلـدان، جـ١، صـ ١٢٦. وعن أرسوف انظر محمد مؤنس عوض: في الصراع الإسلامي الصليبي، معركة أرسوف.

(٢) قيسارية: بلد على ساحل بحر الشام تعد من أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثـة أيام. الحموي: معجم البلدان، م٤، صـ ١٠٧، وعن تاريخ قيسارية انظر حسن عبد الوهاب: تاريخ قيسارية: الشام في العصر الإسلامي.

(٣) فوشيه الشارتري: مصدر سابق، صـ ١٨٨ – ١٩٠.

(٤) عكا: اسم موضع على ساحل بحر الشام. الحموي: معجم البلدان، جـ٣، صـ ١٤١، ولمعرفة المزيد عن عكا انظر جلال سلامة: عكا أثناء الحملة الصليبية الثالثة.

(٥) فوشيه الشارتري: مصدر سابق، صـ ٢١٤.

(٦) فوشيه الشارتري: مصدر سابق، صـ ٢٣٦.

(٧) بيروت: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام، تعد من أعمال دمشق بينهـا وبـين صيدا ثلاثة فراسخ. الحموي: مصدر سابق، جـ ١، ص ـ ٥٢٥.

(٨) وليم الصوري: مصدر سابق، جـ٢، صـ ٢٨٩. ولمعرفة المزيد عن بيروت انظر موضي السرحان: بيروت تحت الحكم الصليبي، عصام شبارو: تاريخ بيروت منـذ أقدم العصور حتى القرن العشرين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على صيدا[1] عام ٥٠٥هـ / ١١١١م[2].

ولنا أن نتساءل هنا عن سبب نجاح الحملات الصليبية في بداية أمرها في الحقيقة أن السبب يرجع في المقام الأول إلى انقسام الوحدة السياسية بين خلافتين متناحرتين[3]، وهما الخلافة العباسية السنية في بغداد[4]، والدولة الفاطمية الشيعية في القاهرة[5]. بالإضافة إلى ضعف السلطة المركزية في كل منهما، بل وظهور الدويلات المستقلة[6] عنهما.

---

(١) صيدا: مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقي صور. الحموي: مصدر سابق، م٣، صـ ٢١٣، وعن تاريخ صيدا انظر أسامة زكي: صيدا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي.

(٢) فوشيه الشارتري: مصدر سابق، صـ ٢٤١.

(٣) حامد زيان: الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية، صـ ٤٥ – ٤٦.

(٤) بغداد: تقع على شط دجلة. فالجانب الغربي يسمى الكرخ، وأما الجانب الشرقي فيسمى عسكر المهدي، وأول من مصرها هو أبو جعفر المنصور. الحموي: مصدر سابق، جـ١، صـ ٢٩٢، أبو الفدا: تقويم البلدان، صـ ٣٠٣.

(٥) القاهرة: مدينة بجنب الفسطاط، وقد بناها جوهر الصقلي للخليفة الفاطمي المعز ليتخذها عاصمة لدولته. انظر المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، صـ ٨٩، حسن إبراهيم: المعز لدين الله، صـ ٢١. السيد خالد المطري: دراسات في مدن العالم الإسلامي، صـ ٩٠.

(٦) عن الدويلات المستقلة انظر عبد الغني زهرة، نورة التويجري: الدول الإسلامية في آسيا، محمود حسن أحمد: العالم الإسلامي في العصر العباسي، أحمد العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولذا تشجع الصليبيون في الاستمرار في الاستيلاء على الأراضي الإسلامية، وخاصة المدن ذات المواقع الإستراتيجية والتي تضمن لهم تحقيق تطلعات الصليبيون الاستعمارية ونتيجة لذلك حدثت موقعة (البليخ) عام ٤٩٧هـ/١١٠٤م.

وسوف يقف البحث على الصراع الإسلامي الصليبي في هذه المعركة من خلال عدة مباحث لعل من أهمها أهمية هذه المدينة بالنسبة للصليبيين وما ستحققه لهم من تطلعات مستقبلية تخدم مطامعهم الاستعمارية، كما سنقف على الأطراف المتحالفة في هذه المعركة من الجانبين الإسلامي والصليبي ، كما سنعرج على الأحوال السياسية قبيل معركة حران في الجانب الإسلامي، وكذلك في الإمارات الصليبية، ثم سنقف على الخطة العسكرية للصليبيين في السيطرة على حران وسبب فشلها، وسنذكر بشيء من الإيجاز تفاصيل اتحاد القيادة الإسلامية، وخطتها في مواجهة الجيش الصليبي، ثم نورد النتائج العظيمة المترتبة على انتصار المسلمين في هذه المعركة، وأحوال المسلمين المتحالفين بعدها.

وفي الوقت ذاته سنوضح أثر الهزيمة على بقية الإمارات الصليبية وموقف الإمبراطور البيزنطي من ذلك، ثم نختم الموضوع بذكر كيفية إطلاق سراح الأسرى الصليبيين، والنتائج المترتبة على ذلك في الجانبين الإسلامي والصليبي. وأوضاع المسلمين بعد هذه المعركة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما أن البحث يهدف إلى التأكيد على نقطة عظيمة وهي أهمية توحيد الجبهة الإسلامية لمقاومة العدوان الخارجي في أي عصر، وليس حصرًا على عصر الحروب الصليبية، كما أن البحث يؤكد على أن قوة الجبهة الداخلية واستقرارها تعكس الصدى الكبير للقوة الإسلامية في أنظار العالم الخارجي، ومتى ما تزعزعت الجبهة الداخلية كثرت الأطماع من قبل الأعداء بل وتشجعوا في القدوم والاحتلال.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أهمية الاستيلاء على حران:

لقد فكر الصليبيون في الاستيلاء على حران[١] وذلك نظرًا لأهمية هذه المدينة ووقوعها على الطريق الموصل إلى بغداد[٢]، بالإضافة إلى قطع الصلة بين المسلمين في العراق وفارس[٣] عن إخوانهم في الشام والجزيرة[٤]، فضلاً عن أن سقوط حران بأيديهم سيعطيهم فرصة لمهاجمة الموصل[٥] وتأمين الرها إذا ما تم إبعاد الخطر الإسلامي عنها، ومن ثم السيطرة على الجزيرة[٦]، وهي الطريق المؤدي إلى الموصل، كما أن إحتلال حران سيفصل بين المراكز السلجوقية الثلاثة في الأناضول والعراق والشام، ويفصل خاصة حلب ودمشق عن مسلمي

---

(١) حران: مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور وهي قصبة ديار مضر بينها وبين الرها يوم وهي على طريق الموصل والشام. الحموي: مصدر سابق، م٢، صـ ١٣٠.

(٢) مسفر الغامدي: الجهاد الإسلامي، صـ ١٤١.

(٣) فارس: ولاية واسعة وإقليم فارس أول حدودها من جهة العراق أرجان ومن جهة كرمان السيرجان ومن جهة ساحل بحر الهند سيران ومن جهة السند مكران. الحموي: مصدر سابق، م٣، صـ ٤٠٧.

(٤) عصام الفقي: بلاد الجزيرة، صـ ١٣٨.

(٥) الموصل: بلدة آشور الكبرى الواردة في التوراة. وقد سميت بالموصل بأنها وصلت بين العراق والجزيرة.بنيامين: الرحلة، صـ ١٢٧، الدمشقي: نخبة الدهر، صـ ٢٥٥، ابن بطوطة: تحفة النظار، جـ١، صـ ٢٤٤.

(٦) الجزيرة: سميت بالجزيرة لأنها تقطع الفرات ودجلة، الحموي: مصدر سابق، م٢، صـ ٥٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وسط آسيا[1] وكان بوهيمند – كونت أنطاكيةBohemond (٤٩١ – ٤٩٨هـ / ١٠٩٨ – ١١٠٤م) يرى أن السيطرة على حران ستؤدي إلى حصر حلب[2] بين أنطاكية من الشرق وحران من الغرب مما يسهل إسقاط حلب، ومن ثم إنشاء دولة صليبية كبرى في شمال الشام بدلاً من إمارة أنطاكية، كما أن الاتصال بين المسلمين في الشام، والمسلمين في العراق وفارس، لم يكن لينقطع فعلاً، إلا إذا احتل المسيحيون حصن حران المنيع، الواقع بشمال الجزيرة، بين الرها ونهر الفرات، فإذا ظفر الفرنج بحران، فإنهم يفكرون في توجيه حملة لمهاجمة الموصل والجزيرة. خاصة أن الذي شجعهم هو ضعف الوحدة الإسلامية بشكل عام، وكذلك ظهور المشاكل الداخلية بين السلاجقة[3].

ومن التحليل السابق لأهمية الاستيلاء على حران نجد أنها أسباب عظيمة تؤدي إلى نتائج كبيرة الفائدة بالنسبة للصليبيين إذا نجحوا في ذلك.

---

(١) هانس ماير: تاريخ الحروب الصليبية، صـ ١٠٩، ارشيد يوسف: سلاجقة الشام، صـ ١١٥، أمين معلوف: الحروب الصليبية، صـ ٩٩.

(٢) حلب: مدينة عظيمة كثيرة الخيرات وهي قصبة جند قنسرين، ولا يسقي المدينة نهر أو عيون لذا يضطر الأهلون إلى شرب مياه المطر. الحموي: معجم البلدان، م٢، صـ ١٦٦، الدمشقي: نخبة الدهر، صـ ٢٦٩. بنيامين: الرحلة، صـ ١٢٢.

(٣) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، جـ٢، صـ ٦٩ – ٧٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خاصة إذا تمكنوا من فصل المراكز الإسلامية عن بعضها فلن يواجه الصليبيون مستقبلاً أي تحالف إسلامي مشترك، كما أن دائرة النفوذ الصليبي سيتسع أفقها. خاصة أنهم يطمحون إلى السيطرة على بغداد العاصمة السياسية الأم للعالم الإسلامي آنذاك.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأحوال السياسية لسلاجقة الموصل

قبيل معركة حران

كانت أوضاع السلاجقة متدهورة إذ كثرت الثورات والفتن بين أمراء السلاجقة، إذ توجه موسى التركماني _ نائب حصن كيفا[1] _ إلى الموصل ليسيطر عليها منتهز فرصة وفاة حاكمها قوام الدولة كربوغا[2].

ولنا أن نتساءل عن أثر هذا التصرف من قبل ابن التركماني على بقية الأمراء السلاجقة.

في الحقيقة ما إن علم جكرمش _ صاحب جزيرة ابن عمر[3] _ بذلك، حتى نهض سريعًا ليستولي على الموصل، فاشتد التنافس بل والصراع بين ابن التركماني وجكرمش مما اضطر الأول للاستنجاد بسقمان بن أرتق على أن يعطيه حصن كيفا، فوافق ابن التركماني على ذلك، فاستجاب لمساعدته سقمان[4].

---

(١) حصن كيفا: هي بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر، الحموي: مصدر سابق، جـ٢، صـ ٢٦٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل، جـ١٠، صـ ٣٤٢.

(٣) جزيرة ابن عمر: بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام. وهذه الجزيرة تحيط بها دجلة إلا من ناحية واحدة شبه الهلال. الحموي: مصدر سابق، م٣، صـ ٥٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل، جـ١٠، صـ ٣٤١ – ٣٤٢، ابن القلانسي: ذيل دمشق، صـ ١٤٠، ابو الفدا: المختصر، جـ٢، صـ ٣٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لكن سير الأحداث أخذ اتجاهًا آخر إذ قتل موسى التركماني بيد أحد غلمانه، مما سهل على جكرمش أمر الاستيلاء على الموصل دون عناء يذكر، أما عن سقمان فإنه استولى على حصن كيفا بالإضافة إلى ماردين[١] التي كانت بيده من أيام كربوغا[٢].

ومما سبق نستطيع أن نقول أن الأحداث الجارية في الموصل تعطينا صورة واضحة عن سوء بل وتدهور الأوضاع عند سلاجقة فارس، مما شجع الأتابكة على كثرة الثورات والحروب بهدف أن يستولي على أقاليم الأتابك الآخر[٣].

ومما هو جدير بالملاحظة أن هذه الأوضاع السيئة كان الصليبيون على علم بها، مما جعلهم يسعون جاهدين لاستغلال هذه الفرصة الثمينة.

وقد أصاب ابن الأثير في وصفه لهذه الأحوال «استطال الفرنج بما ملكوه من بلاد المسلمين واتفق لهم اشتغال عساكر المسلمين

---

(١) ماردين: من ديار ربيعة وهي حصن من بلاد الجزيرة، ولها قلعة منيعة وتقع بالقرب من نصيبين، انظر ابو الفدا: تقويم البلدان، صـ ٢٧٩ ؛ القزويني: آثار البلاد، صـ ٢٥٩.

(٢) ابن القلانسي: ذيل دمشق، صـ ١٤٠، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، جـ٢، صـ ١٤، ابن الأثير: الباهر: صـ ١٦، ابن خلدون: العبر، جـ٥، صـ ٣٦.

(٣) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، جـ ١، صـ ٣٥٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وملوكها بقتال بعضهم بعضًا، وتفرقت بالمسلمون الآراء واختلفت الأهواء وتمزقت الأموال»[1].

وهذه الأوضاع المتدهورة قد أثرت سلبًا على استقرار الأمن الداخلي «إذا صارت الأموال منهوبة والدماء مسفوكة، والبلاد مخربة، والقرى محرقة والسلطنة مطموعًا فيها، محكومًا عليها، وأصبح الملوك مقهورين، بعد أن كانوا قاهرين»[2].

ولم تكن حران ذاتها بأحسن حال من الموصل إذ كانت تحت حكم قائد تركي يسمى قراجة. لكن مما يؤسف له أن شراسة خلق قراجة قد أثار عليه السكان، مما جعلهم يقرروا أن يسلموا الحكومة إلى محمد[3] صاحب أصبهان[4]. لكن محمدًا ما لبث أن أغتيل على يد جاولي[5]- أحد غلمان قراجة- لكن سلطة جاولي لم تستقر بشكل كبير، وفي الوقت ذاته ازداد تعرض حران لغارات من قبل صليبي الرها.

---

(١) ابن الأثير: الكامل، جـ١٠، صـ ٣٧٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠، صـ ٣٦٩.

(٣) ابن العبري: مختصر الدول، صـ ١٧٢.

(٤) أصبهان: مدينة عظيمة من أعلام المدن وأعيانها، وأصبهان اسم للإقليم بأسره وكانت مدينة أصبهان بالموضع المعروف بجيّ وهو الآن يعرف بشهرستان وبالمدينة، الحموي: مصدر سابق، م١، صـ ١٦٩.

(٥) ابن الأثير: الكامل، جـ١٠، صـ ٣٧٣، ابن العبري: مصدر سابق، صـ ١٧٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهكـــذا أضحت حران مرتعًا لكثير من الفتن والثورات حتى عدم فيها الأمن والاستقرار.

ولنا أن نتساءل لما حران تعرضت لكثير من الهجمات من قبـــل الرها بالذات دونًا عن بقية الإمارات الصليبية الأخرى.

أن الرها بحكم موقعها الجغرافي هي الأقرب بل والأكثر وقوفًـــا على أوضاعها الداخلية وما فيها من اضطرابات وثورات، كمـــا أنهـــا ستأمن الخطر الإسلامي إذا استولت على حران. كما أن إمارة أنطاكية قد تعرضت لحادث مفاجئ وهو أسر الكونت بوهيمند كما سيوضح في البحث[1].

---

(١) ابن العديم: مصدر سابق، جـــ٢، صـــ ١٤٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأوضاع الداخلية في أنطاكية

تعتبر إمارة أنطاكية ثاني إمارة أسسها الصليبيون في بلاد الشام عام ٤٩١هـ / ١٠٩٨م. وتولى حكمها بوهيمند والذي بدأ بدوره جاهدًا لتوسيع حدود أنطاكية الطبيعية فحاصر أفاميه[١] لكنه فشل في ذلك، ثم توجه بعد ذلك لحصار حلب فكادت أن تسقط في يده. لولا أنه وقع في الأسر عام ٤٩٣هـ /١١٠٠م بيد أمير سيواس غازي الدانشمندي[٢] وذلك عند قيامه بالدفاع عن مدينة ملطية[٣] التي كان الدانشمندي يحاصرها بغية انتزاعها من حاكمها جبريل الأرمني ونتيجة لأسر بوهيمند قرر أصحاب الرأي في أنطاكية استدعاء تانكرد Tancred – ابن أخت بوهيمند – الذي كان يحكم إقليم الجليل[٤] بفلسطين ليتولى الوصاية على مدينة انطاكية[٥].

---

(١) أفاميه: مدينة حصينة من سواحل الشام وهي من كور حمص، وأفاميه لها مدينة قديمة ولها بحيرة حلوة يشقها نهر العاصي. الحموي: مصدر سابق، جـ١، صـ ٢٢٧، أبو الفاد: جـ١، صـ ٢٤٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل، جـ١٠، صـ ٣٠٠، ابن العظيمي: تاريخ حلب، صـ ٣٦٠.

(٣) ملطية: بلدة من بلاد الروم تتاخم الشام وهي للمسلمين، الحموي: مصدر سابق، جـ٧، صـ ٣١٦.

(٤) الجليل: الجليل في ساحل الشام ممتد إلى قرب حمص، الحموي: مصدر سابق، جـ٣، صـ٧٢.

(٥) وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، جـ ٢، صـ ١٨٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولنا أن نتساءل عن أسباب ترشيح أهل أنطاكية لتانكرد دون غيره؟ ولماذا وافق على هذا الترشيح ؟

وللرد على التساؤل السابق فإننا نقول لعل هذا الاختيار مرجعه إلى أن أهل أنطاكية كانوا يرون أن تانكرد رجلاً حكيمًا وجنديًا ماهرًا وليس بينهم من يضارعه، بالإضافة إلى كونه ابن أخت أميرهم بوهيمند(١).

وقد وافق تانكرد على هذا الترشيح لأنه على خلاف مع الملك بلدوين الأول Baldwain I (٤٩٢ - ٤٩٣هـ / ١٠٩٩ - ١١٠٠م) ولذا لم يربط نفسه بيمين الولاء له فرحل تانكرد إلى أنطاكية بعد ما سلم إقطاعه - حيفا(٢) وطبرية(٣) - إلى الملك بلدوين الأول. وقد اشترط تانكرد على الملك بلدوين الأول أنه في حالة عودة بوهيمند من الأسر ينبغي عليه أن يرد إليه كامل إقطاعه في فلسطين. ولذا كانت مصلحة كل من بلدوين الأول وتانكرد ألا يجري التعجيل بإطلاق سراح بوهيمند ولذا لم يبادر بأي محاولة للتفاوض مع آسريه(٤).

---

(١) محمود عمران: القادة الأسرى، صـ ١٧.

(٢) حيفا: مدينة على ساحل بحر الشام قرب يافا. الحموي: مصدر سابق، جـ٣، صـ ٢٠٤.

(٣) طبرية: بليدة مطلة على بحيرة طبرية وهي من أعمال الأردن في طرف الغور بينها وبين دمشق ثلاثة أيام. الحموي: مصدر سابق، جـ٥، صـ ٢٤٨.

(٤) محمود عمران، القادة الأسرى، صـ ٣٢، علي المحيميد: الدانشمنديون، صـ ١٨٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد أطلق الدانشمند سراح بوهيمند من الأسر سنة (٤٩٥هـ / ١١٠٣م) بزوجة لوساطة Baldwain II بلدوين الثاني (٤٩٤ - ٥١٢ هـ / ١٠٠٠ - ١١١٨م) أمير الرها وبطريك أنطاكية برنارد اف فالنس Bernard of valence (٤٩٤ - ٥٢٩هـ / ١١٠٠ - ١١٣٥م) والأمير الأرمني كوخ باسيل Kogh vasil مقابل الفدية التي تقدر بمائة ألف بيزنت[١] كما اشترط عليه إطلاق سراح ابنة ياغي سيان التي كان في أسره فوافق بوهيمند على ذلك[٢].

ولنا أن نتساءل هنا عن صدى خبر إطلاق سراح بوهيمند على الجانبين الإسلامي والصليبي .

في الحقيقة لقد استبشر الصليبيون خيرًا من إطلاق سراح بوهيمند بشكل عام وفي أنطاكية بشكل خاص.

أما المسلمون فقد تألموا كثيرًا لخبر إطلاق سراح بوهيمند وقد وصف لنا ابن الأثير هذا التأثير بقوله: "ولما خلص بوهيمند من أسره عاد إلى أنطاكية فقويت نفوس أهلها به، ولم يستقر حتى أرسل إلى أهل

---

(١) بيزنت: عبارة عن عملة ذهبية بيزنطية، وسميت هكذا نسبة إلى بيزنطة أي القسطنطينية، وكان البيزنت متداولاً بكثرة في أوربا خلال العصور الوسطى حتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، انظر جوزيف نسيم: العدوان الصليبي على مصر، صـ ٢١٦، حاشية رقم ٢.

(٢) ابن الأثير : الكامل، جـ ١٠، صـ ٣٤٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العواصم[1] وقنسرين[2] وما جاورها بطالبهم بالأتاوة فورد على المسلمين من ذلك ما طمس المعالم التي بناها الدانشمند"[3].

على أي حال توجه بوهيمند إلى أنطاكية حيث تولى من جديد مقاليد الحكم بها، وأثنى بوهيمند علنًا على تانكرد لما قام به من تولي شؤون أنطاكية وتوسيع حدودها بل ونفوذها إذ استولى على قيلقية[4] واللاذقية[5] هذا بالإضافة إلى أذنه[6] وطرطوس[7] والمصيصة[8]، ولذا

---

(١) العواصم: حصون موانع وولاية بها بين حلب وانطاكية وقصبتها أنطاكية، كان قد بناها قوم واعتصموا بها من الأعداء وأكثرها في الجبال فسميت بذلك. الحموي: مصدر سابق، م٣، صـ ٣٦٠.

(٢) قنسرين: كورة بالشام بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم. الحموي: مصدر سابق، م٣، صـ ٩٣.

(٣) ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ٣٤٥.

(٤) قيلقية: من ديار بكر والنسبة إليها قالي وكان اسمها ارزن الروم. انظر أبو الفدا: تقويم البلدان، صـ ٢٧٩.

(٥) اللاذقية: مدينة من ثغور الشام الساحلية، والبحر منها غربًا، وهي من ثغور أنطاكية، انظر الأندلسي: معجم ما استعجم، جـ٣، صـ ١٤٧، أبو الفدا: تقويم البلدان، صـ ٢٥٧.

(٦) أذنة: بلد من الثغور قرب المصيصة مشهور. الحموي: مصدر سابق، م١، صـ ١١٢.

(٧) طرطوس: بلد بالشام مشرفة على البحر قرب المرقب وعكا. الحموي: مصدر سابق، م٣، صـ ٢٥٧.

(٨) المصيصة: من بلاد الأرمن وقد بناها أبو جعفر المنصور. أبو الفدا: تقويم البلدان، صـ ٢٠١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كافأه بوهيمند على ذلك بأن بذل له إقطاعًا صغيرًا في أنطاكية[١].

ولنا وقفة هنا على الأمور التي قام بها بوهيمند بعد عودته إلى أنطاكية وتوليه حكمها من جديد.

لقد قام بوهيمند وجوسلين كورتيناي بالإغارة على بلاد حلب[٢]. فاستوليا على مدينة المسلمية[٣]، وأخذ إتاوة كبيرة من المسلمين جرى استخدامها في تسديد ما اقترضه بلدوين الثاني والبطريك برنارد من أموال من الصليبيين لافتداء بوهيمند من الأسر.

كما اشترك بوهيمند مع ابن أخته تانكرد عام ٤٩٦هـ / ١١٠٤م في الهجوم على مدينة حران عندما استنجد بهم بلدوين الثاني[٤] وتعود تفاصيل ذلك إلى أن بلدوين الثاني كونت الرها تشجع على مهاجمة ممتلكات المسلمين أسوة بما فعله بوهيمند كونت أنطاكية بالإضافة إلى ضعف ردة فعل المسلمين إزاء العدوان الصليبي لذا تضافر كل من بلدوين الثاني وجوسلين على مهاجمة حلب سنة ٤٩٦هـ / ١١٠٢م

---

(١) فوشيه الشارتري: مصدر سابق، صـ ٢١٥، رنسيمان: مرجع سابق، جـ٢، صـ ٦٨.

(٢) ابن الشحنة: الدر المنتخب، صـ ٢١٧.

(٣) المسلمية: مدينة شمال حلب.ابن العديم:مصدرسابق،ج٢،ص١٤٧،حاشية (٤)

(٤) على المحيميد: الدانشمنديون، صـ ١٩١، رنيه كروسيه: الحروب الصليبية، صـ ٥٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفتحوا حصن بسرفوت[١] بالأمان[٢].

وفي عام ٤٩٧هـ / ١١٠٣م أغار صليبي الرها على مرج الرقة[٣] وقلعة جعبر[٤] واستاقوا المواشي، وأسروا من وقع بأيديهم من المسلمين[٥].

ونتيجة للانتصارات السابقة التي حققها بلدوين الثاني فإنه تطلع للسيطرة على حران وخاصة أن الأوضاع الداخلية بها غير مستقرة – كما أوضحنا سابقًا– وطلب المساعدة من صليبي أنطاكية فاستجاب له سريعًا بوهيمند وتانكرد ليشاركا بقواتهما في هذه المعركة.

كما اشترك دايمبرت Daimbert بطريرك بيت المقدس، وكبير أساقفة الرها الذي يسمى بندكت Benedict[٦].

وكانت خطتهم العسكرية في السيطرة على حران تتلخص في فرض الحصار عليها. وكانت بوادر هذه الخطة لدى بلدوين الثاني

---

(١) حصن بسرفوت: حصن من أعمال حلب في جبال بني عليم، الحموي: مصدر سابق، م١، صـ ٣٣٢.

(٢) ابن العديم: مصدر سابق، جـ٢، صـ ١٤٨.

(٣) مرج الرقة: مدينة مشهورة على الفرات. الحموي: مصدر سابق، م٢، صـ ٤١٣.

(٤) قلعة جعبر: تقع على الفرات بين بالس والرقة قرب صفين. الحموي: مصدر سابق، م٢، صـ ٥٩.

(٥) ابن الأثير:الكامل، جـ١٠، صـ ٣٦٩.

(٦) وليم الصوري: مصدر سابق، جـ٢، صـ ٢٤٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خيوطها حيث فكر في الطريقة التي تؤدي بأهل حران إلى الاستسلام، فرأى أن الحصار الاقتصادي خير وسيلة لأنه إذا اشتدت عليهم وطأة الجوع لم يجدوا مفرًا أمامهم سوى تسليم المدينة. لذا نظر فرأى أن كلاً من الرها وحران تبعد عن الأخرى ما يقرب من أربعة عشر ميلاً، وبينهما نهر تستخدم مياهه التي تجري في القنوات لري السهل المجاور وتجعله شديد الخصوبة ويغل غلة وفيرة، ورأى أن العرف جرى منذ زمن بعيد على أن يكون كل ما تنتجه الأراضي الواقعة على هذا الجانب من النهر فكان لسكان حران(١).

كما عرف بلدوين الثاني انعدام ورود أية مواد غذائية إلى أهل حران من الخارج، مما يفرض عليهم الاعتماد في كل طعامهم على ما تخرجه هذه الأرض المشتركة بين البلدين، لذا ظل بلدوين الثاني أمدًا طويلاً يشن عليهم الغارات المتكررة حتى تمكن من منعهم من زراعة أرضهم، كما كان يعتقد أنه إذا حرم الأهالي من المؤونة التي ألفوا الحصول عليها من المزارع المشتركة أهلكتهم الحاجة(٢).

ومن العرض السابق لخطة الصليبيين لإسقاط حران نجد أنها ترتكز على الحصار الاقتصادي في المقام الأول، وفي الوقت ذاته تدمير موردها الاقتصادي في المقام الثاني ومنع أهالي حران من

---

(١) وليم الصوري: مصدر سابق، جـ٢، صـ ٢٤٩.

(٢) وليم الصوري: مصدر سابق، جـ٢، صـ ٢٤٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخروج منها، وكذلك منع اتصالهم بالمسلمين حتى لا تصلهم الإمدادات الاقتصادية أو المساعدات العسكرية.

كما أن هذه الخطة تجعلنا نجزم بأنه منذ أمد ليس بالقصير والصليبيون يتطلعون للسيطرة على حران بل ويسعون إلى اتخاذ الوسائل التي تحقق لهم ذلك مستقبلاً، كما أن هذه الخطة توضح لنا أهمية الحصار الاقتصادي وأثره على ضعف البلاد المحاصرة.

ولنا أن نتساءل عن موقف أهالي حران من هذا الحصار في الحقيقة أن هذا الحصار جعل الأهالي في حران يتوقعون قدوم الصليبيين عليهم في أي لحظة، لذا بادروا بإرسال الكتب، بل وإنفاذ الرسل إلى أمراء المشرق يسألونهم المبادرة إلى إنقاذهم في أقصى سرعة، وإلا فلا مناص من الاستسلام، لكن وطأة الجوع ما لبثت أن اشتدت عليهم، في الوقت ذاته خاب أملهم في أن تأتيهم أي نجدة من الأمراء المسلمين، لذا عمدوا إلى المداولة والمشاورة حول ما ينبغي عليهم إزاء هذا الموقف الحرج، فاستقر رأيهم على أن يسلموا المدينة للصليبيين، فذلك خيرًا لهم من أن يموتوا جوعًا[1].

ومن هذا القرار ندرك أثر تفكك الجبهة الإسلامية وإنشغالهم بالصراعات الداخلية حال دون القواد المسلمون والقيام بالدور المطلوب منهم وهو محاربة الوجود الصليبي في الأراضي الإسلامية ومما يؤسف

---

(١) وليم الصوري: مصدر سابق، جـ٢، صـ ٢٥٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

له أن المسلمون كانوا في كثرة من العـدد لكن تنقـصهم الأصـوات التي تنادي بضـرورة وحدة الجبهـة الإسلامية.

على أي حال اتفق الأهالي على اتخاذ القـرار الـسابق خرجـوا وسلموا المدينة لمحاصريهم الصليبيين دون قيد أو شرط. غير أنه شب في هذه اللحظة الحاسمة نزاع بين القادة الصليبيين بسبب غيرة بعضهم من بعض، ذلك أن بوهيمند وبلدوين نازع كل منهما الآخر أيهما يتسلم المدينة، وأيهما تتقدم رايته الجيش عند دخولهم المدينة.

ولنا أن نتوقف عند الآثار المترتبة على هذا النزاع المفاجئ[1]، في الحقيقة لقد ترتب على هذا النزاع عدة أمور يأتي في مقـدمتها تـأخر دخولهم لمدينة حران، وكذلك تأجل تسلمهم إياها إلى الغد ليتـاح لهـم الوقت الكافي للتفكير العميق في هذه المسألة البسيطة بل والتافهة.

كما أننا سنرى هذه الصفة – النزاع على الملكية – صفة ملازمة للصليبيين إذ كل قائد وكل أمير ينافس الآخر بأن يفوز هو بـالبلاد إذ سيطروا عليها، وهذا مما يجعلهم يتفككون في اللحظة الحاسـمة وقـد أصاب ابن عمران حينما شبههم بمن باع فـراء الـدب قبـل أن يـتم صيده[2].

---

(١) وليم الصوري: مصدر سابق، جـ٢، صـ ٢٥٠.

(٢) محمود عمران: تاريخ الحروب الصليبية، صـ ٩٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والأثر الأعظم لهذا النزاع هوتأخير استلام حران للغد "لأن التواني يجر في أذياله الخطر"[1].

ذلك أنه حدثت – مفاجأة غير متوقعة – قبل انبثاق فجر اليوم التالي حيث وصل إلى حران جيشًا ضخمًا من المسلمين.

ولنا أن نتساءل عن الأسباب التي أدت إلى قدوم هذا الجيش الهائل في هذا الوقت الحرج لإنقاذ حران. ولماذا وصف قدومهم بالمفاجأة غير المتوقعة.

وللإجابة على هذا التساؤل نستطيع أن نقول لقد حدث أن تبادل الزعيمان المسلمان جكرمش وسقمان بن أرتق الرسائل في وقت متزامن تقريباً، يدعو فيه كل زعيم أخاه إلى نسيان الخلافات القديمة والتعاون المشترك ضد الصليبيين[2]. ولقد جاء في رسالة كل واحد منهما للآخر ما رواه ابن الأثير حيث قالا: "إنني ما بذلت نفسي في هذا الأمر إلا لله تعالى وثوابه"[3].

وهذا القول يعكس صورة صادقة لسمو التعاليم الإسلامية وأثرها في تحقيق النصر للمسلمين حينما بذلوا أرواحهم في سبيل الله متناسين كل خلافاتهم السابقة. وهذا مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إن

---

(١) وليم الصوري: مصدر سابق، جـ٢، صـ ٢٥٠.

(٢) ابن القلانسي: مصدر سابق، صـ ١٤٣.

(٣) ابن الأثير: مصدر سابق، جـ١٠، صـ ٣٧٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾[1]. فالعقيدة الإسلامية هي مصدر قوة المسلمين.

كما أن وصف الصليبيون لقدوم القوات الإسلامية المتحدة بالمفاجأة غير المتوقعة يدل على اتساع هوة الخلاف بين القواد المسلمين وأن الصليبيين على علم بها، لذا استبعدوا أن تحدث بينهم وحدة.

لقد نتج عن اتحاد جيش الموصل وحصن كيفا، قدوم جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل منهم ثلاثة آلاف مقاتل تحت قيادة جكرمش وسبعة آلاف تركماني تحت قيادة سقمان بن أرتق[2]. والذي كان له باعًا طويلاً بل وخبرة واسعة في قتال الصليبيين[3].

وهكذا التقى الأميران عند رأس العين[4] على الخابور[5] للزحف على الصليبيين فدارت المعركة بين الطرفين على ضفة نهر البليخ[6].

---

(١) سورة محمد: ٧.

(٢) ابن القلانسي: مصدر سابق، صـ ١٤٣.

(٣) عن جهاد الأراتقة في شمالي الشام والجزيرة ضد الوجود الصليبي، انظر عماد الدين خليل: الإمارات الأرتقية، صـ ٢١١، رنسيمان: مرجع سابق، جـ٢، صـ ٦٥.

(٤) رأس العين: مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين. الحموي: مصدر سابق، م٢، صـ ٣٨٠.

(٥) الخابور: نهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة. الحموي: مصدر سابق، جـ٢، صـ ٢٠٦.

(٦) البليخ: اسم نهر بالرقة يجتمع فيه الماء من عيون. الحموي: مصدر سابق، م١، صـ ٣٨٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي تلك الموقعة أظهر المسلمون الانهزام فتبعهم الفرنج نحو فرسخين فعاد عليهم المسلمون فقتلوهم كيف شاءوا، وامتلأت أيدي التركمان من الغنائم ووصلوا إلى الأموال العظيمة[١]، وبلغ عدد القتلى من الصليبيين أكثر من عشرة آلاف فارس[٢].

وقد مني الصليبيون بالهزيمة العظيمة حيث وقع أمير الرها بلدوين الثاني ومعه جوسلين حاكم تل باشر، أسيرين في قبضة المسلمين، أما بوهيمند وتانكرد ومعه معظم جيشه فقد لاذوا بالفرار[٣].

وقد وصف هذه المعركة فوشيه الشارتري بقوله: "ومات كثيرون رميًا بالسهام وطعنًا بالخناجر، أولئك الذين كان يمكنهم أن يستولوا على حران دون مشقة كبيرة لو أنهم فرضوا عليها الحصار أولاً، لم يعد يوسعهم فيما بعد أن يستولوا عليها سواء في هجومهم أو في رحلة العودة". ولأن الأمن أحيانًا يعطي نتائج سيئة بالخداع، فإن المبالغة في الخوف والحرص يكون أحيانًا ميزة للحريص والهياب، وكما هو مكتوب التأجيل خطر بالنسبة لأولئك المستعدين للعمل[٤].

---

(١) ابن العديم: زبدة الحلب، جـ٢، صـ ١٤٨ ؛ ابن الجوزي: المنتظم، جـ١٧، صـ ٨٤.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٥، صـ ١٨٨.

(٣) ابن القلانسي: مصدر سابق، صـ ١٤٣ ؛ ابن الأثير: مصدر سابق، جـ١٠، صـ ٣٧٤.

(٤) فوشيه الشارتري: مصدر سابق، صـ ٢١٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد تألم مؤرخ الحروب الصليبية وليم لنتيجة هذه المعركة "ولم يحدث أبدًا أن قرأنا قبل هذا الحادث أو بعده عن معركة بلغت من الشؤوم ما بلغته هذه المعركة التي أسفرت عن مصرع رجال أبطال كهؤلاء الرجال، ولا سمعنا مثل هذا الفرار المشين الذي لحق بجيشنا"[1].

ولنا أن نقف على أسباب فشل الصليبيين في هذه المعركة بعد أن كانت بوادر النصر في البداية له. فلعل أهم الأسباب هو عدم إدراكهم لأهمية الوقت في إحراز النصر فعندما أوشكت حران على الاستسلام تنازع الزعماء أيهما يرفع رايته على البلاد أولاً. فساد بينهما النزاع، يضاف إلى ذلك بأنه لا توجد لديهم خبرة في أساليب قتال الأتراك العسكرية[2].

في الحقيقة إن معركة حران تعتبر نقطة تحول خطيرة في ميدان الصراع الإسلامي الصليبي وذلك لما ترتب عليها من نتائج خطيرة إذ رفعت الروح المعنوية للمسلمين، كما كشفت للمسلمين أهمية الوحدة الإسلامية وأثرها في القضاء على الكيان الصليبي[3]، وجددت لهم بوارق الأمل في الانتصار على الصليبيين، إذ استرد المسلمون بعد ذلك

---

(١) وليم الصوري: مصدر سابق، جـ٢، صـ ٢٥٢.

(٢) محمود عمران: القادة الأسرى، صـ ١٧.

(٣) ابن القلانسي: مصدر سابق، صـ ١٤٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العديد من قلاع إمارتي الرها وأنطاكية بالإضافة إلى المدن القريبة من حلب مثل معرة مصرين[١] وسرمين[٢] وصوران[٣]، مما أدى إلى انسحاب القوات الصليبية من معرة النعمان[٤] والبارة[٥] وكفر طاب[٦] ولطمين[٧]. وبذا تقلصت حدود أنطاكية الشرقية حتى وصلت إلى بحيرة العمق[٨] بعد أن كانت قد وصلت إلى مشارف حلب[٩].

كما استطاع المسلمون بهذه الموقعة أن يحافظوا على الطريق بين الشام والعراق مفتوحًا وآمنًا، ولمدة طويلة جدًا من الزمان، مما سهل

---

(١) معرة مصرين: بليدة وكورة بنواحي حلب ومن أعمالها، الحموي: مصدر سابق، م٤، صـ ٢٨٧.

(٢) سرمين: بلدة مشهورة من أعمال حلب، الحموي: مصدر سابق، م٣، صـ ٤٢.

(٣) صوران: اسم كورة بحمص وجبل وقيل موضع دون دابق، الحموي: مصدر سابق، م٣، صـ ٢٠٩.

(٤) معرة النعمان: مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة. الحموي: مصدر سابق، م٤، صـ ٢٨٧.

(٥) البارة: بليدة وكورة من نواحي حلب وفيها حصن. الحموي: مصدر سابق، م١، صـ ٢٥٦.

(٦) كفر طاب: بلدة بين المعرة ومدينة حلب في برية معطشة. الحموي: مصدر سابق، م٤، صـ ١٤٤.

(٧) لطمين: كورة بحمص وبها حصن. الحموي: مصدر سابق، م٤، صـ ١٧٨.

(٨) بحيرة العمق: كورة بنواحي حلب بالشام الآن وكان أولاً من نواحي أنطاكية. الحموي: مصدر سابق، م٣، صـ ٣٥٣.

(٩) ابن العديم: زبدة حلب، جـ٢، صـ ١٤٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعد ذلك خروج الحملات المتتالية من الموصل وما حولها إلى حرب الصليبيين في الرها وأنطاكية[1]. وبذا تحطمت أسطورة أن الجند الصليبيون لا يقهرون[2].

أما في الجانب الصليبي إذ شعر الصليبيون بالهزيمة النفسية، وقد وضعت هذه المعركة حدًا لأحلام الصليبيين وطموحاتهم إذ قضت على آمالهم في التقدم نحو العراق، وإتمام سيطرتهم على إقليم الجزيرة، كما خيبت مطامح بوهيمند في السيطرة على حلب وتحويل إمارة أنطاكية إلى دولة كبيرة[3]، كما بددت هذه المعركة آمال الصليبيون عامة في السيطرة على حلب، والموصل، إذ كانتا أكثر المناطق الإسلامية تعرضًا للاعتداءات الصليبية، وذلك لوقوع الأولى بين الوجود الصليبي في الرها من ناحية، وأنطاكية من ناحية ثانية، ومن ثم فإن الصليبيين في كل من الإمارتين كانوا يستهدفون إسقاط حلب الإسلامية،حتى يتسنى لهم تكوني حاجز صليبي يمتد من شمال غربي الجزيرة إلى شواطئ البحر المتوسط في شمال بلاد الشام[4].

---

(١) عماد الدين خليل: الإمارات الأرتقية، صـ ٢١٤.

(٢) مسفر الغامدي: مرجع سابق، صـ ١٤٢.

(٣) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، جـ١، صـ ٢٥٧ ؛ العريني: الشرق الأوسط والحروب الصليبية، جـ١، صـ ٢٨٥.

(٤) حامد غليم: مرجع سابق، جـ ٢، صـ ١٧٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما بالنسبة للموصل، فإن إضعاف هذه الإمارة، أو إسقاطها، كان سيتيح للصليبيين حرية التوسع العدواني في الجزيرة ناحية الشرق، وناحية الجنوب، أيضًا تأثرت القوات الصليبية بهذه الهزيمة حيث تناقص عدد الجنود في إمارتي الرها وأنطاكية إذ فقدوا أكثر من اثني عشر ألف مقاتل بالإضافة إلى أسر أمير الرها ونائبه كما أسلفنا سابقًا[١]، ولذا لم يستطع الصليبيون قطع الصلة بين القوى الإسلامية في العراق والشام وآسيا الصغرى[٢].

كما كان لهذه المعركة آثارًا بعيدة المدى على الإمارات الصليبية وفي مقدمتها إمارة الرها إذ حرمت الرها من قيادة بلدوين حوالي خمسة أعوام[٣] كما وصف ذلك ابن القلانسي بقوله: "وبه ضعفت نفوس الافرنج"[٤] وزيادة على ذلك تخوف الصليبيون أن يقوم الترك مرة أخرى بمهاجمة الرها. إذ عجل بالمسير إليها بوهيمند وتانكرد، وقد طلب من تبقى من الفرسان في الرها، أن يتولى تانكرد الوصاية على الرها حتى يجري إطلاق سراح بلدوين الثاني من الأسر، فقبل تانكرد هذا العرض، أما بوهيمند فقد عاد إلى أنطاكية[٥].

---

(١) حامد غنيم: مرجع سابق، جـ٢، صـ ١٧٦.

(٢) عصام عبد الرؤوف: بلاد الجزيرة، صـ ١٣٩.

(٣) حامد غنيم: الجبهة الإسلامية، جـ٢، صـ ١٧٥.

(٤) ابن القلانسي: مصدر سابق، صـ ١٤٣.

(٥) وليم الصوري: مصدر سابق، جـ٢، صـ ؛ حامد غنيم: الجبهة الإسلامية، جـ٢، صـ ١٧٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما استطاع الأرمن أن يعلنوا ضجرهم من حكم الصليبيين، وهذا نتيجة لتعسف الصليبيين الغربيين مع الكنيسة الأرمينية وإهمالها بل اضطهاد رجالها في كثير من الأحيان، مما دفع الأرمن إلى الاتصال سرًا بالأتراك[١].

في الحقيقة كانت هناك أيضًا آثار للهزيمة على إمارة أنطاكية، إذ أتاحت الفرصة لرضوان ملك حلب السلجوقي الفرصة ليثأر لنفسه من نورمان أنطاكية، وقد زاد موقف النورمان سوءًا عندما استولى رضوان ملك حلب على أرتاح[٢]، وهي القلعة ذات الموقع الهام بالنسبة لأنطاكية، والأرمن في أرتاح ثاروا ضد حكم النورمان، ولذا استدعوا رضوان لاستلام الحصن[٣].

ومما سبق ندرك أن هزيمة حران التي حلت بالصليبيين سنة ٤٩٧ هـ/ ١١٠٤م أضاعت كثيرًا من المكاسب التي سبق أن حققتها إمارتا أنطاكية والرها على حساب المسلمين بالشام.

أما عن أثرها على الدولة البيزنطية فقد استغل الإمبراطور الكسيوس كومنين Alexius Comnenus (٤٧٤ - ٥١٢هـ / ١٠٨١

---

(١) ابن العديم: مصدر سابق، جـ٢، صـ ١٥٠.

(٢) أرتاح: اسم حصن منيع كان من العواصم من أعمال حلب. الحموي: مصدر سابق، م١، صـ ١١٨.

(٣) ابن العديم: مصدر سابق، جـ٢، صـ ١٥٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- ١١١٨م) الفرصة لإثار من خصمه بوهيمند ويسترد منه بعض الممتلكات البيزنطية ذلك أن الرعايا البيزنطيين في مدن قيليقيه مثل طرسوس وأذنه والمصيصة، ثاروا بدورهم ضد حكم النورمان وسلموا مدنهم للبيزنطيين، كما أرسل الإمبراطور أسطولاً بيزنطيًا إلى اللاذقية، استطاع أن يفاجئ المدينة ويستولي على معظمها من النورمان[١] عدة مراكز أخرى على الشاطئ فيما بين اللاذقية وأنطرطوس[٢]، فضلاً عن قلعة المرقب[٣].

وهكذا وجد بوهيمند نفسه بين نارين، وعليه أن يحارب في جبهتين لينقذ إمارته، فالمسلمون عن يمينه يهاجمونه على جبهة نهر العاصي، والبيزنطيون عن يساره يهددون شواطئ أنطاكية.

هذا في الوقت الذي ضاعت فيه قواته في موقعة حران، وقواته في أنطاكية أوهن ما تكون، ويتحمل عبء الرها بعد أسر سيدها، وهو نفسه غير قادر على توفير القوات للدفاع عن إمارته بينما هو مدين

---

(١) حسين عطية: إمارة أنطاكية، صـ ١٣٢ ؛ رنيه كروسيه: الحروب الصليبية، صـ ٥٥.

(٢) انطرطوس: بلد من سواحل بحر الشام، وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية، وأول أعمال حمص. الحموي: مصدر سابق، جـ١، صـ ٢٧٠.

(٣) قلعة المرقب: اسم الموضع الذي يرقب فيه وهي قلعة حصينة حسنة البناء تشرف على ساحل بحر الشام وعلى مدينة بلنياس. الحموي: مصدر سابق، جـ٥، صـ ١٠٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بفديته للدانشمند. لذا عين تانكرد وصيًا على أنطاكية وأبحر إلى إيطاليا في ٤٩٨هـ / ١١٠٤م. ولم يعد إلى أنطاكية أبدًا[١].

ولهذا البحث في ختامه وقفة على مصير الأسرى الصليبيين في معركة حران وكيفية إطلاق سراحهم.

بالنسبة لإطلاق سراح بلدوين الثاني فقد بادر جكرمش يعرض إطلاق سراح بلدوين مقابل إطلاق سراح إحدى الأميرات السلجوقيات والتي قد وقعت في أسر تانكرد أو دفع مبلغ خمسة عشر ألف، وقد تشجع لهذا العرض الملك بلدوين الأول، لكن بوهيمند وتانكرد تأخرا في الرد على هذا العرض، وذلك لأن إطلاق سراح بلدوين أمير الرها يبعد تانكرد عن الإمارة[٢].

وهكذا كانت الأطماع الشخصية الصليبية سببًا في بقاء بلدوين الثاني وجوسلين في الأسر عدة سنوات[٣].

أما جوسلين فقد أطلق سراحه قبل بلدوين بواسطة أهل تل باشر[٤] حيث قاموا بجمع الفدية اللازمة لتحرير جوسلين، كما أن بعض أهالي

---

(١) سعيد عاشور: مرجع سابق، جـ١، صـ ٣٢٧، رنيه كروسيه: مرجع سابق، صـ ٥٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل، جـ١٠، صـ ٣٤٥.

(٣) محمود عمران: القادة الصليبيون الأسرى، صـ ٣٢.

(٤) تل باشر: قلعة حصينة وكورة واسعة في شمال حلب. الحموي: مصدر سابق، م١، صـ ٤٥١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المدينة وضعوا أنفسهم كرهائن بدلاً من جوسلين الـذي خـرج لجمـع فديته، وقد قام هؤلاء الرهائن بكسر بـاب المكـان المحتجـزين فيـه وهربوا، وعلى ذلك تم إنقاذ جوسلين دون دفع الفدية[١].

وقد عمل جوسلين بعد إطلاق سراحه على إطلاق سراح بلـدوين أف بورج، وكانت الفدية التي تقررت على بلدوين نحو سـبعين ألـف دينار، وقد أخذ جوسلين معه ثلاثين ألف بيزنت وذهب إلى قعلة جعبر ووضع نفسه رهينة مكـان بلدوين وأخرجـه من سجنه لكـن جاولي ما لبث أن أطلق سراح جوسلين[٢].

ولما خرج بلدوين الثاني من أسره اتجه إلى الرها ولكنه منع مـن دخولها، فاتجه إلى تانكرد في أنطاكية ليطالب بإمارته، ولكن تـانكرد رفض عودة بلدوين الثاني وعرض عليه ثلاثين ألف بيزنـت وخـيلاً وسلاحًا وثيابًا وغير ذلك، ورفض بلدوين هذا العرض واتجه إلى تـل باشر حيث تقابل مع جوسلين ليستعدا لعمل عسكري يسترد به بلـدوين إمارته[٣].

وحدثت الحرب بين بلدوين وجوسلين من جهة ضد تـانكرد فـي الجهة الأخرى وانتهى الأمر بتسليم بلدوين إمارة الرهـا ٥٠٢هـ / ١١٠٩م[٤].

---

(١) ابن الأثير: الكامل، جـ١، صـ ٤٦٠.

(٢)ابن الأثير: الكامل، جـ١، صـ ٤٦٠

(٣) ابن الأثير: الكامل، جـ١٠، صـ ٤٦١.

(٤) ابن الأثير: الكامل، جـ١٠، صـ ٤٦٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما عن أوضاع المسلمون بعد موقعة حران فإن مما يؤسف له أن ما انعقد من تحالف بين سقمان وجكرمش لم يستمر طويلاً بعد إحراز النصر. إذ ظفر التركمان الذين ينتمون إلى سقمان بمعظم الأسرى والغنائم، فاشتعلت نار الحقد في نفس جكرمش. فهاجمت قوات جكرمش السلجوقية خيمة سقمان، وانتزعت منها بلدوين[١].

ولنا أن نتساءل عن موقف سقمان من هذا التصرف من قبل قوات جكرمش.

وفي الحقيقة لما علم سقمان بهذا ثارت ثائرته وشق عليه الأمر، غير أنه أظهر من ضبط النفس ما جعله يقول: "لا أؤثر شفاء غيظي بشماتة الأعداء بالمسلمين"[٢] فانسحب إلى ماردين واستولى على كثير من حصون ديار بكر، أما جكرمش فقد سار إلى حران وأناب فيها أحد أصحابه، ثم توجه إلى الرها وحاصرها[٣] مدة خمسة عشر يومًا عاد بعدها إلى الموصل[٤].

---

(١) ابن الأثير: الكامل، جـ١٠، صـ ٣٧٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠، صـ ٣٧٥.

(٣) أبو الفدا: المختصر: جـ٢، صـ ٣٣.

(٤) ابن الأثير: الكامل: جـ١٠، صـ ٣٧٥ ؛ رنسيمان: مرجع سابق، جـ٢، صـ ٧٥ – ٧٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

- **ابن الأثير:** أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م.

- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط ١٩٦٣م

- الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ط ١٩٧٩م.

- **ابن الأندلسي:** أبو عبيد الله البكري، ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م.

- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

- **ابن بطوطة:** أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللوائي، ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م

- رحلة ابن بطوطة: (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، تحقيق محمد عبد المنعم، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

- **ابن تغري بردي:** جمال الدين أبو الحسن يوسف تغري بردي الأتابكي، ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

- **ابن الجوزي:** أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٢م.

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية، بيروت.

- **أبو الفدا:** الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة، ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م.

- تقويم البلدان، باريس، ط ١٨٥٠م.

- المختصر في أخبار البشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

- **الحموي:** شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م.

- معجم البلدان،دار إحياء التراث العربي،بيروت.

- **الدمشقي:** شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب، ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م.

- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- **القزويني:** الإمام العالم زكريا بن محمد بن محمود، ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م.

- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د(ت)

- **المقدسي:** شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الباشري، عاش في القرن ٤هـ / ١٠م .

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق إبراهيم خوري، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

- **ابن حوقل:** (أبي القاسم بن حوقل النصيبي، ت ٣٦٧هـ / ١٩٧٧م)

- صورة الأرض، مطبعة بريل، ليون، ط٢، ١٩٢٨م.

- **ابن خلدون:** عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م.

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

- **ابن الشحنة:** أبو الوليد محب الدين محمد بن محمد الحلبي، ت ٨١٥هـ / ١٤١٤م.

- الدر المنتخب في مملكة حلب، دار الكتاب العربي، دمشق، ط١٩٨٤م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- **ابن العبري:** غريغوريوس أبو الفرج بن هـارون، ت ٦٦٠هـ / ١٢٨٦م.

- تاريخ مختصر الدول، دار الكتب العلمية، بيـروت، ط١، ١٩٩٧م.

- **ابن العديم:** كمال الدين أبو القاسم عمر بـن أحمـد بـن هبـة الله، ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٥م.

- زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ط ١٩٥١م.

- **ابن العظيمي:** محمد بن علي العظيمـي الحلبـي، ت ٥٥٨هـ / ١١٦٣م.

_ تاريخ حلب،دمشق،١٩٨٤م.

ابن القلانسي:ابويعلى حمزة بن القلانسي،ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م

- ذيل تاريخ دمشق، مكتبة المتنبي، القاهرة، د (ت).

- **ابن الوردي:** أبو حفص زين الدين، ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م.

- تاريخ ابن الـوردي، دار الكتـب العلميـة، بيـروت، ١٩٩٦م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيا: المصادر المعربة

بنيامين التطيلي

-رحلـــة بنيامين،ترجمـــة عـــزرا حداد،المطبعـــة الشرقية،بغداد،ط ١٩٤٥م

فوشيه الشارتري

- الوجود الصليبي في الـشرق العربي،ترجمـة قاسـم عبده،ذات السلاسل،الكويت،١٩٩٣م

مجهول

- أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمـة حـسن حبشي ،دار الفكر القاهرة. ١٩٥٨ م

ناصر خسرو

- سـفرنامة،رحلة ناصـر خـسرو،ترجمة يحيـى الخشاب،دار الكتاب الجديد،بيروت، بيروت.

وليم الصوري

- الحروب الصليبية،ترجمة حسن حبشي،الهيئة المـصرية العامة للكتاب،القاهرة ،١٩٩٤م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثالثا: المراجع العربية:

أحمد الشريف، حسن محمود:

- العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١٩٩٥م.

أحمد مختار العبادي:

- في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١م.

أرشيد يوسف:

- سلاجقة الشام والجزيرة، عمان، ط ١٩٨٨م.

أسامة زكي زيد:

- صيدا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨٠م.

جلال حسني سلامة:

- عكا أثناء الحملة الصليبية الثالثة، دار الفاروق، فلسطين، ط١، ١٩٩٨م.

جوزيف نسيم يوسف:

- العدوان الصليبي على مصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط١٩٨١م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حامد غانم زيان:

- الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية، دار الثقافة، القاهرة، ط ١٩٨٣م.

حامد غنيم أبو سعيد:

- الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، دار الثقافة، القاهرة، ط٢، ١٩٨٤م.

حسن إبراهيم حسن:

- المعز لدين الله الفاطمي، المكتبة المصرية، القاهرة، ١٩٤٧م.

حسن عبد الوهاب حسين:

- تاريخ قيسارية الشام في العصر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط ١٩٩٠م.

حسين محمد عطية:

- إمارة إنطاكية والصليبيون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط١، ١٩٨٩م.

سعيد عبد الفتاح عاشور:

- الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ط٥، ١٩٩٩م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سيد الباز العريني:

- الشرق الأوسط والحروب الصليبية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١٩٩٣م.

سيد خالد المطري:

- دراسات في مدن العالم الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت، ط١٩٨٩م.

عبد الغني زهرة ونوره التويجري:

- الدول الإسلامية في آسيا، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ.

عصام محمد شبارو:

- تاريخ المشرق العربي الإسلامي، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٩م

عصام عبد الرؤوف الفقي:

- بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١٩٧٥م.

علي صالح المحيميد:

- الدانشمنديون، مطابع السلمان، بريدة، ط٢، ٢٠٠١م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

علية عبد السميع الجنزوري:

- إمارة الرها الصليبية، ط القاهرة، د(ت).

عماد الدين خليل:

- الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م

عمر عبد السلام تدمري:

- تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

محمد العمروسي المطوي:

- الحروب الصليبية في المشرق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١٩٨٢م.

محمد مؤنس عوض:

- الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، دار عين، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

محمود سعيد عمران:

- القادة الصليبيون الأسرى في أيدي الحكام المسلمين، دار النهضة العربية، بيروت، ط ١٩٨٦م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط ٢٠٠٦م.

مسفر سالم الغامدي:

- الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط١، ١٩٨٦م.

موضي عبد الله السرحان:

- بيروت تحت الحكم الصليبي وعلاقتها بالمسلمين، دار الأوفست، الرياض، ط١، ٢٠٠١م.

هنادي السيد محمود:

- مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠٠٨م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رابعا: المراجع المعربة:

أمين معلوف:

- الحروب الصليبية كما رآها العرب، ترجمة عفيف دمشقية، دار الفارابي، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.

جلانفيل دواني:

- أنطاكة القديمة، ترجمة إبراهيم نصحي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط ١٩٦٧م.

رنيه كروسيه:

- الحروب الصليبية، ترجمة أحمد أيبش، دمشق، ط١، ٢٠٠٢م.

ستيفن رنسيمان:

- تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.

هانس ماير:

- تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة عماد الدين غانم، مجمع الفاتح للجامعات، ليبيا، ط ١٩٩٠م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner